ملاحظات حول الأحاديث الواردة في فضائل إفريقية

ياسين بن علي

الحمد لله والصّلاة والسّلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

- الأحاديث في فضائل البلدان والأمصار كثيرة، ومنها ما ورد في فضل المدينة واليمن والشام ومصر وغير ذلك، وفيها الصحيح والضعيف والموضوع. وقد تساهل العلماء في أحاديث الفضائل ولم يشدّدوا في انتقادها بخلاف أحاديث الأحكام المتعلّقة بالحلال والحرام. قال السخاوي (في فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ج٢ ص١٥٢): "وقال ابن عبد البر: أحاديث الفضائل لا يحتاج فيها إلى من يحتجّ به. وقال الحاكم: سمعت أبا زكريا العنبري يقول: الخبر إذا ورد لم يحرّم حلالا، ولم يحلّ حراما، ولم يوجب حكما، وكان في ترغيب أو ترهيب أغمض عنه، وتسهّل في رواته. ولفظ ابن مهدي فيما أخرجه البيهقي في المدخل: إذا روينا عن النبي ﷺ في الحلال والحرام والأحكام، شدّدنا في الأسانيد وانتقدنا في الرجال، وإذا روينا في الفضائل والثّواب والعقاب، سهّلنا في الأسانيد وتسامحنا في الرّجال". ولا يعني هذا أنّهم أهملوا بيان ضعفها بل بيّنوا ذلك واشترطوا شروطا لذكرها. وعلى كل حال، فهذا منهج بعض العلماء رحمهم الله تعالى، والأصل أنّه لا ينسب الحديث إلى الرسول ﷺ إلّا إذا ثبت وصحّ، مع الأخذ بعين الاعتبار اختلاف مناهج التصحيح والتضعيف عند العلماء والمحدّثين.
- ورد في فضائل إفريقية – المغرب عموما وإفريقية والمنستير خصوصا – أحاديث كثيرة جمعها أبو العرب مُحَّد بن أحمد بن تميم التميمي (ت٣٣٣هـ) في كتابه "طبقات علماء إفريقية". وقد ورد أيضا ذكر هذه الأحاديث في كتب أخرى نقلت عن أبي العرب، منها:
  - رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، لأبي بكر عبد الله بن مُحَّد المالكي (ت٤٦٤هـ).
  - المسالك والممالك، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن مُحَّد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ).
  - صلة السمط وسمة المرط، لابن الشبّاط التوزري (ت٦٨١هـ).
  - معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، لأبي زيد الدبّاغ (ت٦٩٦هـ) وأكمله وعلّق عليه ابن ناجي (ت٨٣٩هـ).
  - البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، لابن عذاري المراكشي (ت بعد سنة ٧١٢هـ)،
  - رحلة التّجاني، لأبي مُحَّد عبد الله بن مُحَّد بن أحمد التّجاني (ت بعد سنة ٧١٧هـ)
  - الروض المعطار في خبر الأقطار، لأبي عبد الله مُحَّد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى (ت ٩٠٠هـ).
  - المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، لابن أبي دينار (ت بعد سنة ١١١٠هـ).
  - الحلل السندسية في الأخبار التونسيّة، لأبي عبد الله مُحَّد بن مُحَّد الأندلسي شهر الوزير السراج (ت١١٤٩هـ).
  - نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، لمحمود بن سعيد مقديش (ت١٢٢٨هـ).

فأوّل كتاب يصلنا جمعت فيه أحاديث فضائل إفريقيّة هو لأبي العرب التميمي، وأغلب الكتب التي جاءت بعده نقلت عنه، مع ذكر السند أو حذفه، ومن لم يصرّح بالنقل عرف نقله عنه بالمقارنة – كما أكّده الدكتور الحسين شواط (في كتابه القيّم: مدرسة الحديث في القيروان، ص٣٨٤) –.

- الأحاديث الواردة في كتاب "الطبقات" لأبي العرب تنقسم بحسب موضوعها إلى ثلاثة أقسام:

١) القسم الأول: أحاديث في فضل إفريقية، منها: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ تَمِيمٍ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ، وَحَبِيبُ صَاحِبُ مَظَالِمِ سُحْنُون، وَعِيسَى بْنُ مِسْكِينٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا سُحْنُونُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «**لَيَأْتِيَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وُجُوهُهُمْ أَشَدُّ نُورًا مِنَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**». قَالَ [أَبُو الْعَرَبِ]: وَحَدَّثَنِي فُرَاتُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَسَّانٍ الْيَحْصبِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَيَأْتِيَنَّ أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وُجُوهُهُمْ أَفْضَلُ نُورًا مِنْ نُورِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**».

٢) القسم الثاني: أحاديث في فضل المنستير، منها: حَدَّثَنِي فُرَاتُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي خَلَفُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَابِسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْبُهْلُولُ بْنُ رَاشِدٍ، قَالَ: قَالَ: حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنِ اللَّيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**بِسَاحِلِ قَمُونِيَةَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: الْمُنَسْتِيرُ، مَنْ دَخَلَهُ فَبِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَمَنْ خَرَجَ مِنْهُ فَبِعَفْوِ اللَّهِ**».

٣) القسم الثالث: أحاديث في فضل المغرب، منها: قَالَ (أبو العرب): وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَسْطَامٍ الضَّبِّيُّ، عَنِ أبي الْحَسَنِ أَحْمَد بْنِ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، قال حدّثنا هُشيْم، قال أخبرنا دَاوُد بْنِ أَبِي هِنْدٍ، قال حدّثنا أبو عثمان النَّهْدِيِّ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لا يَزَالُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**». قَالَ (أبو العرب): وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَوْنٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو زَكَرِيَّاءَ الْحَفرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ عَبَّادُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**سَتُجَنِّدُونَ أَجْنَادَكُمْ، وَخَيْرُ أَجْنَادِكُمُ الْجُنْدُ الْغَرْبِيُّ**».

- لم تدرس هذه الأحاديث الواردة في فضائل إفريقية دراسة حديثية علمية لتمييز المقبول منها والمردود، وأغلب الناقلين لها يذكرونها بدون تعليق وبيان لضعفها أو صحّتها بل منهم من صرّح بصحة بعضها، كقول ابن أبي دينار (في المؤنس، ص٣٠): "وها أنا أورد من تلك الأحاديث ما ثبتت صحته على وجه التبرّك". ومن العلماء من علّق عليها بعد ذكرها، ومنهم ابن ناجي الذي قال (في معالم الإيمان، ص٦): "قلت: وسمعت شيخنا أبا الفضل، أبا القاسم بن أحمد البرزلي يقول عن شيخه وشيخنا، أبي عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عرفة الورغمّي: إنّه يغلب على الظن أنّ هذه الأحاديث موضوعة، وقصدوا من وضعها تحبيبها لساكنها؛ ويدلّك على هذا أنّ فيها رونق الأحاديث الموضوعة، وكذلك ينقل في فضل بلد رادس وغيرها". ويبدو أنّ ذكر أغلب العلماء والمؤرخين لها بدون تمحيص لأسانيدها مردّه إلى تساهلهم في أحاديث الفضائل كما مرّ ذكره.

- أوّل من نقد هذه الأحاديث هو الشيخ مُحَمَّد الشاذلي النيفر رحمه الله تعالى (ت١٩٩٧م)؛ إذ نشر قبل ستين سنة تقريبا دراسة له بعنوان "أحاديث فضل إفريقية" في المجلة الزيتونية على ثلاثة أجزاء (م٦ ج٤/٥/٦ ص٤٦٧–٤٦٩ وج٩

ص٥٦٩-٥٧١ وج١٠ ص٦١٤-٦١٦)، وجمع بعد ذلك الشيخ مُحَمَّد العروسي المطوي رحمه الله تعالى (ت٢٠٠٥م) الأحاديث في كتاب عنوانه "فضائل إفريقية في الآثار والأحاديث الموضوعة"، ولم أتمكّن من مراجعته، ولكن قال الدكتور شواط (في مدرسة الحديث في القيروان، ص٣٨٦): "وقد بذل فيه جهدا طيبا، غير أنّه لم يتكلّم إلّا على ثلاثة فقط من رجال هذه الأحاديث، وبما أنّه لم يكن من أهل الاختصاص الدقيق فقد وقع في بعض الأخطاء". وقد تناول الدكتور الحسين شواط في كتابه المذكور آنفا (ص٣٨٨-٤٠١) الأحاديث المرفوعة الواردة في كتاب الطبقات لأبي العرب، فأجاد وأفاد، وبيّن حالها وحال رواتها وفق منهجيّة علميّة حديثية معتبرة، وخلص إلى نتيجة مفادها (ص٤٠١): "أنّ أحاديث فضائل إفريقيّة المرفوعة، وما في حكمها، كلّها باطلة على ضوء دراسة أسانيدها والنّظر في متونها"، فينصح بالعودة إليه والاستفادة منه. ولي بعض الملاحظات المتعلّقة بدراسة الشيخ النيفر وخلاصة الدكتور شواط.

- دراسة الشيخ مُحَمَّد الشاذلي النيفر المنشورة في المجلة الزيتونيّة مليئة بالأخطاء المطبعية، ومثال ذلك ما جاء ص٤٦٨: "ويدلك على أنّه جاء بالدواهي روايته عن **شهد** [الصواب: شهر] بن حوشب المتوفى سنة (١١١) [اختلف في تاريخ وفاته] وحوشب بوزن جعفر وقد جاء في حقّ شهر **في كتب الالباس** [الصواب: في كشف الخفاء ومزيل الإلباس] وأحاديث **شهد** [الصواب: شهر] بن حوشب كلها موضوعة ولما أراد الصاغاني عد الضعفاء والمتروكين ذكر في الطالعة **شهد** [الصواب: شهر] بن حوشب. والذي روى ابو العرب بسنده إلى **شهد** [الصواب: شهر] بن حوشب ان هذه البقعة الملعونة التي يقال لها تهودة كان النبيء ﷺ نهى عن سكناها وقال سوف يقتل بها رجال من أمتي على الجهاد في سبيل الله ثوابهم ثواب اهل بدر واهل أحد **وانه** [في الطبقات: والله] ما بدلوا حتى ماتوا واشوقاه اليهم. وقال **شهد** [الصواب: شهر] بن حوشب سالت التابعين عن هذه العصابة فقالوا ذلك عقبة واصحابه قتلهم البربر بتهودة فمنها يحشرون يوم القيامة واسيافهم على اعناقهم، حتى يقفوا بين يدي الله تبارك وتعالى. و**شهد** [الصواب: شهر] هذا قالوا فيه انه متروك الحديث وهو اعلى درجات الجرح فهو ساقط الحديث لا يكتب عنه شيء...". فهذه الفقرة تبيّن لنا حجم الأخطاء المطبعية الواردة في الدراسة، كما تبيّن لنا منهج الشيخ النيفر الذي نخالفه فيه؛ فهو قد خصّ هنا شهر بن حوشب بالنقد وركّز على وجوده في السند، وأكثر الكلام عليه لإبطال روايته، وأهمل بقيّة العلل في السند التي منها وجود رجال حالهم أسوء بكثير من حال شهر بن حوشب. فـ"شهر" مختلف فيه؛ وقد وثّقه جمع من العلماء. قال العجلي (في تاريخ الثقات ص٢٢٣ رقم٦٧٧): "تابعي، ثقة". وقال الحافظ المزي (في تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج١٢ ص٥٨٣-٥٨٤): "وقال يعقوب بن شيبة: سمعت علي ابن المديني، وقيل له: ترضى حديث شهر بن حوشب؟ فقال: أنا أحدّث عنه. قال: وكان عبد الرّحمن بن مهدي يحدّث عنه... وقال حرب بن إسماعيل الكرماني عن أحمد بن حنبل: ما أحسن حديثه، ووثّقه... وقال حنبل بن إسحاق، عن أحمد بن حنبل: ليس به بأس. وقال عثمان بن سعيد الدارمي: بلغني أن أحمد بن حنبل كان يثني على شهر بن حوشب... وقال التّرمذي أيضا: عن البخاري: شهر حسن الحديث. وقوّى أمره، وقال: إنما تكلّم فيه ابن عون، ثم روى عن هلال بن أبي زينب عنه. وقال أبو بكر بن أبي خيثمة، ومعاوية بن صالح عن يحيى بن معين: ثقة...". وقد لخّص حاله الحافظ ابن حجر العسقلاني بعد النظر في اختلاف الأقوال فيه بقوله (في تقريب التهذيب، ص٤٤١ رقم٢٨٤٦): "شهر بن حوشب الأشعري الشامي، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن، صدوق، كثير الإرسال والأوهام من الثالثة". وقال (في فتح الباري، ص٧٨١ ح١١٩٠): "وشهر

حسن الحديث وإن كان فيه بعض الضعف". ولهذا لم يجعل الدكتور شواط علّة ردّ الحديث كونه من رواية شهر بن حوشب، فقال (ص٣٩٩): "هذا حديث باطل، لا يصحّ عن النبي ﷺ، وهو أشبه بكلام القصّاص، ولعلّه من وضع أبي عبد الملك الملشوني أو ابنه إسحاق، وعلامة الوضع بيّنة في ركاكة ألفاظه، وما فيه من المجازفة، كما أنّ أبا العرب تحمّله وجادة وهي طريقة ضعيفة من طرق التحمّل؛ لانقطاعها، بالإضافة إلى كونه معلّا بالإرسال".

- يمكن تقسيم الأحاديث الواردة في كتاب "الطبقات" لأبي العرب بحسب القبول والردّ إلى ثلاثة أقسام:

- الأحاديث الواردة في فضل المغرب: منها الضعيف أو الموضوع، كحديث: «**سَتُجَنِّدُونَ أَجْنَادَكُمْ، وَخَيْرُ أَجْنَادِكُمُ الْجُنْدُ الْغَرْبِيُّ**»؛ فقد رواه أَبُو مَعْمَرٍ عَبَّادُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ عن أنس بن مالك، وهو منكر الحديث، حدّث عن أنس بنسخة أكثرها موضوعة (ينظر مثلا: لسان الميزان، ج٤ ص٣٩٣ رقم٤٠٨٠)، ومنها أيضا الصحيح، كحديث: «**لا يَزَالُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**». فهذا الحديث صحيح، وفي رواية مسلم في صحيحه: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»، ولكن اختلف العلماء في معناه ودلالته لاختلاف ألفاظه. قال القرطبي (في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج٣ ص٧٦٣-٧٦٤): "وقد اختلف في: من هذه الطائفة؟ وأين هم؟ فقال علي بن المديني: هم العرب، واستدل برواية من روى: "وهم أهل الغرب"، وفسَّر (الغرب) بالدلو العظيمة. وقيل: أراد بالغرب: أهل القوة، والشدَّة، والحدِّ. وغرب كل شيء حدَّه. وقيل: أراد به: غرب الأرض. وهو ظاهر حديث سعد بن أبي وقاص. وقال فيه: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق في المغرب حتى تقوم السَّاعة"، ورواه عبد بن حميد وقال فيه: "لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم السَّاعة، أو يأتي أمر الله". ورواه بقي بن مخلد في مسنده كذلك: "لا يزال أهل المغرب كذلك". قلت: وهذه الرّوايات تدل على بطلان التأويلات المتقدَّمة، وعلى أن المراد به أهل المغرب في الأرض، لكن أول المغرب بالنسبة إلى المدينة مدينة النبي ﷺ؛ إنما هو الشام، وآخره: حيث تنقطع الأرض من المغرب الأقصى وما بينهما، كل ذلك يقال عليه: مغرب. فهل أراد المغرب كله، أو أوّله؟ كلّ ذلك محتمل، لا جرم قال معاذ في الحديث الآخر: "هم أهل الشام". ورواه الطبري وقال: "هم ببيت المقدس". وقال أبو بكر الطرطوشي في رسالة بعث بها إلى أقصى المغرب، بعد أن أورد حديثا في هذا المعنى؛ قال- والله تعالى أعلم-: هل أرادكم رسول الله ﷺ أو أراد بذلك جملة أهل المغرب؛ لما هم عليه من التمسّك بالسّنة والجماعة، وطهارتهم من البدع والإحداث في الدّين، والاقتفاء لآثار من مضى من السّلف الصالح؟ والله تعالى أعلم". فالحديث صحيح، واحتمال دلالته على المغرب ومنها إفريقية وارد ورجّحه بعض العلماء.

- الأحاديث الواردة في فضل المنستير (مدينة بتونس): كلّها ضعيفة مردودة، ومدارها كلّها على فرات بن مُحَّد العبدي. قال ابن حجر (في لسان الميزان، ج٦ ص٣٢٦ رقم٦٠٢٤): " فرات بن مُحَّد بن فرات العبدي القيرواني: سمع من أبي زكريا الحفري وابن رشيد وغيرهما بإفريقية، ومن ابن بكير وأصبغ ونعيم بن حماد وغيرهم بمصر. قال أبو العرب: سمعت منه كثيرا. وقال ابن حارث: كان يغلب عليه الرواية والجمع ومعرفة الأخبار، وكان ضعيفا متّهما بالكذب أو معروفا به. مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين". وقال ابن عراق (في تنزيه الشريعة، ج١ص٩٥): "فرات بن مُحَّد بن

فرات العبدي القيرواني قال ابن حارث كان متّهما بالكذب أو معروفا به". وقال مُحَّد مخلوف (في شجرة النور الزكيّة في طبقات المالكيّة، ج١ ص٧٢ رقم٨٩): "أبو سهل فرات بن محمَّد العبدي: الفقيه العالم الراوية المحدث الإخباري العارف بأسماء الرجال سمع من سحنون وابنه وعبد الله بن أبي حسان وموسى بن معاوية وغيرهم بإفريقية، ورحل للمشرق فسمع من رؤساء أصحاب مالك، وله لسان طويل ومعرفة بالأنساب، وكان أعلم الناس بالناس وأوقع الناس في الناس حتى نسب إلى الكذب، أخذ عنه جماعة منهم أبو العرب وأكثر من النقل عنه في طبقاته، توفي سنة ٢٩٢ هـ اثنين وتسعين ومائتين اهـ ابن عذاري مع زيادة من غيره". والذي رأيته في كتاب الطبقات لابن الحارث الخشني قوله (ص١٣١ طبعة دار الكتاب اللبناني، تحقيق مُحَّد بن أبي شنب): "وكان قبله حديث كثير وكان يغلب عليه الرواية والجمع ومعرفة الأخبار، وسمعت من يحكي أنّه كان أعلم الناس بمعائب النّاس وأوقع النّاس في النّاس"، وفي نص آخر (طبعة مكتبة مدبولي/القاهرة، بتحقيق الدكتور مُحَّد زينهم مُحَّد عزب، ط١ سنة ١٩٩٣م): "كان أعلم الناس بمصائب النّاس وأوقع النّاس في النّاس"، ولم أجد فيه عبارة: "وكان ضعيفا متّهما بالكذب أو معروفا به"، أو عبارة: "حتى نسب إلى الكذب". وهذه العبارة الأخيرة: "حتى نسب إلى الكذب" أوردها صاحب شجرة النور الزكيّة نقلا عن ابن عذاري المراكشي من كتابه البيان المغرب، وهي موجودة في نسخة حقّقها كولان وليفي بروفنسال (طبعة دار الثقافة/لبنان، ط٣ سنة ١٩٨٣م، ج١ ص١٣٩) ولكن لم أجدها في نسخة أخرى حقّقها بشار عواد معروف وابنه (طبعة دار الغرب الإسلامي/تونس، ط١ سنة ٢٠١٣م) ويبدو أنّها حذفت؛ لأنّها من الزيادات على الأصل حسب اجتهاد المحقّق. وقال عنه الدبّاغ (في معالم الإيمان، ج٢ ص٢٥٠): "وكان من أطول الناس صلاة في شبيبته وكبره، وأكثرهم ملازمة للجامع، ذا تهجّد وسرد صيام". فيبدو أنّ فرات بن مُحَّد كان من العبّاد الزهّاد، وكان "يغلب عليه الرواية والجمع ومعرفة الأخبار"، ولكنّه كان أيضا طويل اللسان "أعلم الناس بالناس وأوقع الناس في الناس"، ولهذا "نسب إلى الكذب" بمعنى أنّه متّهم بالكذب وليس كذّابا؛ والفرق بينهما أنّ الكذّاب علم كذبه على رسول الله ﷺ، فهو يضع الحديث، وأمّا المتّهم بالكذب فهو الذي يكذب في حديث الناس ولم يعلم كذبه في حديث النبي ﷺ، فالكذّاب حديثه موضوع، والمتّهم بالكذب حديثه متروك. قال السيوطي في ألفيته:

وَسَمِّ بِالْمَتْرُوكِ فَرْدًا تُصِب ... رَاوٍ لَهُ مُتَّهَمٌ بِالْكَذِبِ

أَوْ عَرَفُوهُ مِنْهُ فِي غَيْرِ الأَثَرْ ... أَوْ فِسْقٌ أَوْ غَفْلَةٌ أَوْ وَهْمٌ كَثُرْ

فالأحاديث التي رواها فرات بن مُحَّد تندرج ضمن قسم المتروك، وهناك من يدرجها ضمن قسم الموضوع ولا إشكال في هذا بعد أن تبيّنت النكارة والغرابة فيها، والركاكة في الألفاظ والمجازفة ومخالفة السنّة الصحيحة الثابتة. والمهمّ أنّ الأحاديث المرويّة عن فرات، بغضّ النّظر هنا عن بقيّة سندها ومن فيه، باطلة لا يحتجّ بها؛ ولهذا قال الشيخ مُحَّد الشاذلي النيفر (في المجلة الزيتونية، م٦ ج١٠ ص٦١٥): "فمصدر العلّة في كتب أبي العرب هو فرات، فقد أضحى هذا الفرات أجاجا".

- الأحاديث الواردة في فضل إفريقيّة: منها الباطل المتروك، كالأحاديث التي رواها فرات بن مُحَّد، ومنها المحتمل للتحسين. ومثال ذلك: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ تَمِيمٍ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ، وَحَبِيبُ صَاحِبُ مَظَالِمِ سُحْنُون،

وَعِيسَى بْنُ مِسْكِينٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا سُحْنُونُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «**لَيَأْتِيَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وُجُوهُهُمْ أَشَدُّ نُورًا مِنَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**». فهذا الحديث ضعّف لعلتين: الأولى: لأنّ فيه عبد الرحمن بن زياد، والثانية: لأنّه مرسل. أمّا الحديث المرسل، وهو ما سقط منه صحابي، فقد احتجّ به جمع من العلماء. قال القاسمي (في قواعد التحديث، ص١٣٣-١٣٤): "للأئمة مذاهب في المرسل مرجعها إلى ثلاثة: الأول أنه ضعيف مطلقا، الثاني حجة مطلقا، الثالث التفصيل فيه. فأما المذهب الأول فهو المشهور... وأما المذهب الثاني وهو من قال (المرسل حجة مطلقا) فقد نقل عن مالك وأبي حنيفة وأحمد في رواية حكاها النووي وابن القيم وابن كثير وغيرهم، وحكاه النووي أيضا في شرح المهذب عن كثيرين من الفقهاء أو أكثرهم. قال: "ونقله الغزالي عن الجماهير"... وفي التدريب عن ابن جرير قال: أجمع التابعون بأسرهم على قبول المرسل، ولم يأت عنهم إنكاره، ولا عن أحد من الأئمة بعدهم إلى رأس المائتين... وقال السخاوي في فتح المغيث (قال أبو داود في رسالته: وأما المراسيل فقد كان أكثر العلماء يحتجون بها فيما مضى مثل سفيان الثوري ومالك والأوزاعي حتى جاء الشافعي رحمه الله فتكلم في ذلك وتابعه عليه أحمد وغيره)... المذهب الثالث في المرسل... ذهب كثير من الأئمة إلى الاحتجاج بالمرسل بملاحظات دقّقوا فيها منهم الإمام الشافعي رحمه الله تعالى...". وأمّا عبد الرحمن بن زياد فهو بن أنعم الإفريقي، وقد اختلف فيه العلماء، فمنهم من ضعّفه ومنهم من وثّقه. وممن قوّى أمره وروى له البخاري في الأدب المفرد وفي خلق أفعال العباد. قال الحافظ المزي (في تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج١٧ ص١٠٥-١٠٨): "عن إسحاق بن راهويه: سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول: عبد الرحمن بن زياد ثقة... وقال أبو داود: قلت لأحمد بن صالح: يحتج بحديث الإفريقي؟ قال: نعم، قلت: صحيح الكتاب؟ قال: نعم. وقال الترمذي: ضعيف عند أهل الحديث، ضعفه يحيى القطان وغيره، ورأيت محمّد بن إسماعيل يقوي أمره، ويقول: هو مقارب الحديث". وقال الحافظ مغلطاي (في شرح سنن ابن ماجه، ج٢ ص١٢٢): " وفي كتاب الساجي: كان عبد الله بن وهب يطري الإفريقي، وكان أحمد بن صالح يوثقه وينكر على من تكلّم فيه... فقد تبين بمجموع ما تقدّم رجحان قول من وثقة على قول من ضعّفه، وأنّ العلّة التي ضعف بها حديثه زالت عنه...". وقال أبو العرب (في الطبقات، ص٢٩): "وأخبرني عيسى بن مسكين، عن محمّد بن سحنون، أنه قال: قلت لسحنون: إن أبا حفص الفلاس قال: (ما سمعت يحيى ولا عبد الرحمن يحدثان عن عبد الرّحمن بن زياد بن أنعم)، فقال سحنون: لم يصنعا شيئا، عبد الرّحمن ثقة". وقال الشيخ أحمد شاكر (في تعليقه على سنن الترمذي، ج١ ص٧٦): "وأمّا عبد الرحمن بن زياد بن أنعم فإنّه ثقة، ومن ضعّفه فلا حجة له... وأهل بلد الرجل أعرف به وأعلم. والذي ظهر لي بالتتبع أن كثيرا من علماء الجرح والتعديل من أهل المشرق كانوا أحيانا يخطئون في أحوال الرواة والعلماء من أهل المغرب: مصر وما يليها إلى الغرب". وعليه، فمن احتجّ بالمرسل وترجّح لديه توثيق رواته، فله أن يقبل الحديث ويستدلّ به.

- في معنى إفريقية: قال ابن أبي دينار (في المؤنس، ص٢٩): "إفريقية من بلاد المغرب وعند أهل العلم إن أطلق اسم إفريقية فإنما يعنون به بلد القيروان، وأما اهل السير فيجعلونه إقليما مستقلا وله حدود ولهم اختلاف فيه...". وقال البكري (في المسالك والممالك، ج٢ ص١٩٣): " قال قوم إنّها إفريقية أي صاحبة السماء، وقال آخرون: سمّيت

إفريقية لأنّ إفريقش بن أبرهة بن الرائش (غزا نحو المغرب) حتّى انتهى إلى طنجة في أرض بربر، وهو الّذي بنى إفريقية وباسمه سميّت. وقيل سميّت بأفريق بن إبراهيم عليه السلام من زوجته الثانية قطورى. وقال قوم إنّما سمّوا الأفارقة وبلدهم إفريقية لأنّهم من ولد فارق بن مصريم. وقد زعموا أنّ اسم إفريقية ليبية فسمّيت ببنت يافوه بن يونش الّذي بنى مدينة منفيش بمصر، وهي الّتي ملكت ملك إفريقية أجمع فسمّي بها. وحدّ إفريقية: طولها من برقة شرقا إلى مدينة طنجة غربا، واسم طنجة مورطانية، وعرضها من البحر إلى الرمال الّتي هي أوّل بلاد السودان، وهي جبال رمال عظيمة متّصلة من الغرب إلى الشرق وفيه يصاد الفنك الجيّد". فاسم "إفريقية" يشمل عديد البلدان.

- بقي أن نقول: أنّ الأحاديث الواردة في فضائل بعض البلدان لها حكمة عمليّة، وقد تكون الحكمة الحثّ على فتحها ونشر الإسلام فيها وهو ما عمل به الصحابة رضوان الله عليهم، أو الحثّ على الثبات والصبر والدفاع عن الدّين، أو غير ذلك. والله أعلم.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** (١٣)﴾ (الحجرات).

١٤٤٣/٠١/٠١هـ الموافق لـ٢٠٢١/٠٨/٠٩م